

الخاتمة

كشفت اعمال الندوتين جوانب مهمة من المجهودات التي يبذلها الباحثون في التعريف بتراث وتاريخ جهة بني ملال / خنيفرة، ولا يقتصر الحديث هنا على المقيمين بها أو الذين ينحدرون منها و يقيمون في مدن أخرى، بل يهم أيضا باحثين من جهات أخرى ولا يقيمون في الجهة، وهذا دليل على غنى هذا التراث، وفي نفس الوقت على حاجته إلى جهود كل المغاربة للكشف عنه. وأظهرت هذه الأعمال أيضا اختلاف تخصصات ومشارب ومناهج الباحثين في الموضوع مما يؤكد الملاحظة السابقة. إلا أن هذا الاختلاف وإن كان ينم عن اجتهاد أصحابه وكدهم، فإنه يكشف أيضا عن حاجة ملحة إلى التعاون والتقاطع بين العاملين في تخصص واحد مثل التاريخ أو في تخصصات مختلفة مثل التاريخ والجغرافية وعلم الاجتماع والأدب وعلم الأديان والفلكلور وغيرها. وهذا ورش كبير يحتاج إلى قبول الباحثين بوجهات نظر بعضهم البعض وتبادل الانصات وتقديم التنازلات والصبر كدليل على القبول بالآخر. ولا يجب أيضا أن نغفل عن مسألة مهمة سجلناها في هذه المناسبات وهي قلة الاهتمام بالمناهج وضعف الصرامة العلمية وهذا أمر يهدد الجهود المبذولة بالهدر ويحرم العمل من بعده الوطني والعالمي. ولذلك نهيب بكل إخواننا وأحبابنا أن يحرصوا بقوة على التوجيه إلى هذه النقطة.

إن دراسة المقدس في الجهة والذي ركز على الأولياء والزوايا والأماكن المقدسة (المزارات) قد كشف عن غناها الكبير مما يفرض التركيز أولا على جمعه وتثقيفه لتجنب اندثاره ونسيانه قبل الحديث عن تأويله وشرحه. وقد قدمت أبحاث المشاركين معطيات مهمة عن حركة التصوف والزوايا والمزارات كانت مهمة أو غير معروفة ولم يسبق أن كتب عنها، مستغلين تكوينهم المنهجي المتنوع وانفتاحهم على مناهج مختلفة.

شكل التصوف محور اهتمام الندوتين الرئيس وهذا ليس بالأمر الغريب خاصة إذا عرفنا أن الجهة من المناطق النشيطة في الميدان على الصعيد الوطني. فقد عاش بالمنطقة زهاد ومتصوفة منذ فترة مبكرة كما يؤكد التادلي في تشوفه. وساعدهم على ذلك؛ دون شك، بعد المنطقة عن المراكز الحضرية الكبرى وغلبة الطابعين الجبلي والبدوي عليها مما وفر شروط العزلة والخلوة والتأمل. وزاد من إقبالهم عليها سيادة الترحال كنمط لعيش سكانها حيث وجدوا ساكنة تعيش على الفطرة قوية الاعتقاد قليلة التكوين، لذلك شمروا عن سواعدهم والتحقوا بها في مخيماتها الصيفية وبنوا زوايا كانت بمثابة نقاط التقاء وسلام

وتكوين بالنسبة لهؤلاء. وتشكل نماذج دادا سعيد أحنصال ومحمد الشرقي والبوكمازي نماذج واضحة عن ذلك.

لم يقبع زهاد ومتصوفة الجهة في مناطقهم منعزلين، بل ارتبطوا بالحركة الصوفية الوطنية في مراكزها الكبرى منذ وقت مبكر. فقد كان لزعيم متصوفة المغرب أبو يعزى يلنور صاحب تاغيا مريدون في المنطقة وعلى رأسهم أبو البخت بأيت أمغار بدمنات، وظل مقصد متصوفتها حتى بعد موته حيث زاروا قبره لالتماس مشيخته ومن الذين تذكر المصادر ذلك لهم مَحند أو مَحند الدادسي الووزغتي بووزغت وعلي بن عبد الرحمن الدرعي بتمجت. وارتبطوا أيضا بشعيب السارية صاحب أزمو وأيت أمغار بتيط وتامصلوحت والماكرين بأسفي. وفي العصر الحديث بلغ الارتباط أوجه بالاندماج في الحركة الشاذلية الجزولية من خلال تلامذته وعلى رأسهم عبد العزيز التباع، وكان من تلامذته النجباء علي بن إبراهيم البوزيدي بأكرض وسعيد أمسناو بالصومعة، ثم التحقت المنطقة بالزاوية الناصرية لما سطع نجمها والتحفت معظم مناطقها بلحافها، وبعد ذلك صعدت الزاوية الدرقاوية فغزت جزءا من المنطقة خاصة مع أيت أمهاوش. لقد كانت المنطقة بحق جزءا من الحركة الصوفية الوطنية منذ قيامها.

كان زعماء التصوف في العصر الحديث عاليي الهمم، لذلك بادر أغلبهم إلى إنشاء زوايا مستقلة بطريقتها ووردها أو تابعة لزاوية أم. ومن الزوايا التي اشتهرت زاوية الدلاء وزاوية الصومعة والزاوية الشرقاوية وزاوية ووزغت وزاوية تمجت وزاوية تنغملت وزاوية أيت مظريف. وقد انتظمت في ثلاث مجموعات كبرى: زوايا الدلاء وهو مجال صنهاجي جبلي (الزاوية الأم-زاوية ووزغت-زاوية تمجت-زاوية تنغملت)، وزوايا الدير الفشتالية الزناتية (زاوية أكرض-زاوية الصومعة؟ -زاوية بزو-زوايا الدير من أكرض حتى واد العبيد وصولا إلى بزو، وزوايا السهل العربية-الزمورية (الزاوية الشرقاوية). وقد استغل زعماءها تقوى السكان الفطري وكرمهم وتواطؤوا؛ خاصة خلفاؤهم، مع شيوخ القبائل لجمع ثروات ضخمة، حيث كانت المواسم (نهاية الصيف-بداية الخريف-المولد النبوي) مناسبة للاحتفال وجمع ثروات ضخمة من أبناء القبائل الذين صارت بالنسبة لهم بمثابة مكس إجباري يثقل كاهلهم. ووجه الشيوخ جزءا من هذه الثروات للضيافة واستقبال عابري السبيل ومساعدة الفقراء خاصة في وقت المجاعات واستضافة المريدين المتجردين الذين وصلت أعدادهم إلى أرقام كبيرة جدا (الصومعة-ووزغت-تمجت)، وإيواء الطلبة والعلماء ووفروا للجميع أسباب المعيشة مما نشط حركة العلم وحظيت العلوم المطلوبة في العصر خاصة القرآن والقراءات والحديث والفقه واللغة والأدب والرقائق والحساب والفلك بعناية كبيرة ونبع فيها علماء

كبار. وتعد زوايا الدلاء والصومعة وجعيدان وتانغملت وبزو من المراكز العلمية الكبيرة في المنطقة.

لقد خدم التصوف المنطقة روحيا وعلميا واقتصاديا واجتماعيا، وساهم في نشر وتصحيح إسلام أبنائها خاصة من البدو، كما ربط المنطقة بالوطن الكبير الذي هو المغرب.